الكاتبة لين هاجر الأشعل (تونس)

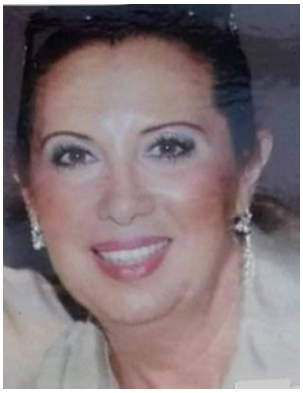

إعاقة فكرية

كم جال بخاطرِ منير الشّامخ أيّام كان مراهقا، ذاك السؤال الملحّ:

– ما الذي حصل لساقي اليسرى حتى تكونّ مختلفة..؟ حتى لا يسعفني الحظّ للّعب والركض كباقي الأطفال؟...ولا للتّفسّح مع حبيبة رقّ قلبي لها كباقي الشبان..؟

غير أنه تجاوز بثبات هذا النقص و تغلّب على نظرات الناس "المحملقة"... المستغربة... أو الساخِرة !

أصبح الصبيُّ الصامت الذي لا يتخلف عن الدرس ولا يلهو كثيرا مع أترابه، دكتورا محاضرا و لامِعا في مجال الطب النفسي، يعمل في عيادة بمستشفى خاص.

ذات مساء، ذهب دكتور منير إلى عيادته الخاصة وكانت تنتظره مفاجأة: شابّة في ريعان العمر متأنقة، جذّابة حضرت إلى عيادته !

اقترب منها في تعجب مصحوب بنُفور...

– نهى!!! ما الذي جاء بك إلى هذا المكان!؟

قبل حتى أن تطلق السلام، مالت ابتسامتها إلى شحوب مسح وجهها ونطقت وهي تتقدّم نحوه في استعجال وارتباك:

– سببُ قدومي هو التوبيخ الدّاخلي الذي اعتراني و النّدمُ الذي أشقاني !...

كانت تخطو نحوه غير أنه صدّها بحركة من يده التي حملها الى رأسه واضعا إيّاها على عينيه و كأنه يتفادى رؤيتها فصورتها تعني له حادثة مازال فؤاده يتفطّر لها...

يومها غادر بيتَ أهلها كسيرا ، مهزوما يجرّ الخطى صوب خلوته بنفسه في كوخ بحّار مهجور فوق ربوة حيث مكانه المألوف حين كان يجلس يفكّر لساعات في تركيبته البدنيّة المختلفة عن باقي الشبان وعيناه شاخصتان نحو السماء...

ذكرى أليمة ألمّت به حين تفاجأ برؤية نُهى أمام مكتبه، "نهى"! ذاك الإسم الذي ترك أخدودا غائرا في نفسه...

منذ خمس سنوات، كان قلبه يخفق ويكاد يطير فرحا كلّما أدخلت ممرضته قريبتها الفتاة نهى(طالبة قسم تمريض) إلى مكتبه كي تطلب منه نصحا أو توضيحَ معلومة تتعلق بمادة الطب..، كان يستقبلها وهو جالس خلف مكتبه حتى أنها لم تلاحظ ساقه العرجاء إلاّ يوم قدم إلى بيت أهلها طالبا يدها، فقد شُغفت بوسامته وبشاشة استقباله لها وتسريحة شعره الأسود اللّامع وأناقة منطقه ...ولولا حركاتها الدالة على رقة أحاسيسها نحوه، وتبادلهما نظرات الإعجاب، لما جمع شجاعته وتقدم لخطبتها من أهلها...لِيلقى منهم إهانة ومنها رفضا كاسرا...

- فيما شرد ذهنك دكتور منير؟

سؤالها أخرجه من صمته وشروده ليقودَها إلى باب مكتبه قائلا بكل برودة و هو يفتحه:

- تفضلي...لم أعد أكرهكِ بل أنا نسيتكِ سيدتي، فلا تعودي مجدّدا!..

في هذه اللحظة رنّ هاتفه:

- أبي! لا تنسى لعبة عيد الميلاد...